

الفكر والقلم ... على خط التسديد اغتيال المثقفين والإعلاميين خلال العشرية السوداء - بين الإستراتيجية والهمجية -

د. بوخراز آسيا

قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا
- جامعة بوزريعة -

ملخص:

مما لا شك فيه أن الإرهاب ظاهرة خطيرة تهدد الحياة اليومية للإنسان في أي مكان من العالم، فهي لم تعد ذات صفة محلية أو إقليمية وترتبط بدولة ما، أو بحضارة بعينها، فالحقيقة التي تؤكدتها الأحداث في كل لحظة، أن هذه الظاهرة الإجرامية بلا وطن، لا دين ولا هوية، وعلى اعتبار أن الظاهرة أعيت كاهل الشعب الجزائري، مما جعل دراستها ضرورية.

من هذا المنطلق تم إجراء هذا التحقيق الذي شاركت فيه العديد من الأسماء في الساحة الثقافية، من زملاء الإعلاميين المفتالين وأهاليهم، حيث اعتمدنا في عرض هذا التحقيق على أرشيف الصحف التي كتبت حول الموضوع، وكذلك مقابلات الإعلاميين الذين لهم دراية بالقضية، التي لم تشمل فقط الباحث أي المثقف الجزائري وإنما شملت كافة الشعب والأمة الإسلامية.

مقدمة:

عاشت الجزائر كل أوجه الإرهاب، بل وأمرها منذ السبعينات وإلى غاية سنة 1991 بعد قيام الحكومة الجزائرية بإلغاء الانتخابات التشريعية حين أخذت الأحداث وجها آخر للإرهاب حيث أن الأوضاع زادت سوءا وأخذت أبعادا أوسع، واستعملت فيها كافة الأساليب من اغتيال، حرق، وتفجيرات... لمدة تجاوزت العشر سنوات وهذا ما خلق مصطلحا جديدا هو العشرية السوداء، هذه الفترة المرة التي عاشها الجزائريون هي موضوع غاية في الأهمية يستدعي الدراسة والبحث، خاصة وأن الظاهرة عامة أسالت الكثير من الحبر وشكلت مادة بحث للبعض وفرصة ذهبية للمفرضين لتحليلها حسب ما تمليه مصالحهم ومشاعرهم الدفينة، لقد شاهدنا عناوين تدمي القلوب (الجزائر، من يقتل من)، (الحرب الأهلية في الجزائر)... إضافة إلى بعض القنوات الإعلامية المتحاملة التي ما فتئت تستثمر في مصيبة الجزائريين، تزيف الحقائق وتثير الفتن، فمن يشاهد تلك الحصص التي تعالج القضية بالقنوات التلفزيونية الأجنبية مثل (الجزائر 1988- 2000 تشريح تراجيديا)، يبقى مندهشا وتثور في نفسه أسئلة إن لم نبادر نحن أبناء هذا الوطن بالبحث عن إجابة لها، فإننا قد نواجه ما هو أفظع، كما أنه في فترة التسعينات شهدت الساحة الثقافية عامة والإعلامية خاصة، عمليات إرهابية عديدة راح ضحيتها صحفيون من مختلف القطاعات سواء الصحافة المكتوبة، الإذاعة أو التلفزيون، كل هذه الأسباب أثارت حفيظتنا وجعلتنا نختر موضوعنا رغم صعوبته، ورغم أن مراجعه قليلة، إلا أننا فضلنا التحقيق، لجوءاً إلى المقابلات مع أهل الاختصاص رغبة منا في إزالة الغموض حول هذه الظاهرة وتقديم معلومات جديدة، وحرصا على تكريم أسماء كتبت بالدم في حضن الجزائر المستقلة وبأياد جزائرية، وامتنانا لأناس بذلوا النفس والنفيس في سبيل كلمة حق، حيث ركزنا أكثر على سلسلة الاغتيالات في الوسط الثقافي والإعلامي، وعلى هذا الأساس بنينا إشكاليتنا التي تضمنت السؤال التالي:

❖ لماذا اتجهت الجماعات المسلحة في الجزائر إلى استهداف المثقفين عموما

والصحفيين بصفة خاصة؟

وهذا السؤال يلزمنا بطرح تساؤلات فرعية تساعدنا على تحديد إجابتنا وتنظيمها

ثم عرضها في شكل يسهل استيعابه هي كالتالي:

- هل موقف المقاتلين هو السبب في استهدافهم ؟
- هل البحث عن الصدى الإعلامي هو الهدف الأساسي ؟
- هل كانت هناك إستراتيجية واضحة في اختيار الأهداف ؟
- أين تكمن المصلحة في استهداف هذه الشخصيات بالذات ؟
- ما هي الإجراءات التي اتخذتها الدولة الجزائرية لحماية شعبها عموما ومتقفيها خصوصا ؟

الجماعات المسلحة في الجزائر (هيكلتها، إيديولوجيتها، أهدافها):

مرت الجزائر بفترة عصيبة تعددت فيها المراحل وتتنوع فيها أساليب الإجرام والدمار، بتعدد الجماعات المسلحة، وعلى هذا الأساس إذا أردنا التعرف على ما جرى خلال العشرية السوداء وحتى قبلها وبعدها، علينا الاطلاع على طبيعة هذه الجماعات وتوجهاتها في كل مرحلة من مراحل الأمن التي مرت وتمر بها الجزائر.

1. الحركات المسلحة في الجزائر قبل 1991:

كثيرون الذين يربطون ظهور الإرهاب في الجزائر بتاريخ إلغاء الانتخابات التشريعية سنة 1991 التي أحرزت فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ الأغلبية، غير أن حقيقتها تعود إلى سنة 1979 ممثلة في (جماعة بوميلي) التي اعتمدت العنف والتهريب كوسائل للتعبير عن آرائها ومطالبها التي تنحصر أساسا في ضرورة قلب نظام الحكم متخذة من إستراتيجية اغتيال رموز السلطة والحرب الشعبية إبان الحرب التحريرية أسلوبا لها، أسسها مصطفى بوميلي (مجاهد ضمن جيش التحرير الوطني منذ سنة 1957، ثم عضو في بؤرة جبهة القوى الاشتراكية المسلحة سنة 1963، وبعد ذلك منسقا لجبهة التحرير الوطني بالشرافة، ليبعد من هذا المنصب بعد إصراره على ترشيحه كنائب بالمجلس الشعبي الوطني عن الحزب ورفض القيادة لطلبه، ما جعله يكن الكره والحق لها وللحزب).

تزايد عدد الشباب المتعطش للعنف حول الجماعة وتوسعت إلى منظمة لها مبادئها وبنودها، وعليه تم إقامة ملاجئ في الجبال والوديان، ثم تكوين لجان لكل لجنة مهمتها وقائدها برتبة رائد يساعده نقيبان، مثلا " لجنة الأسلحة، لجنة الغذاء، لجنة العتاد، لجنة المالية، لجنة الاستعلامات، لجنة الاتصالات، اللجنة التشريعية"

(صحيبي، مناعي وآخرون، 2006-2007: ص 29) وكانت الخطوة الأولى لهذه المنظمة السرية هي تجميع الأسلحة والعتاد العسكري، ففي ديسمبر 1982 تم تفكيك شبكة إرهابية متخصصة في صنع القنابل، وليلة 7- 8 نوفمبر 1982 قامت الجماعة المكونة من "بويعلي، احمد مراح، عمر فراح، عبد الكريم رمضان، عبد العزيز عوالي" بسرقة 161 كيلو غرام من المتفجرات من مقلع كاب جنات، وفي 17 نوفمبر 1982 استهدف حاجز للدرك الوطني بين عكنون (المنكادا)، وفي 21- 22 أوت 1985 وقع هجوم على المديرية الوطنية للبناء بعين النعجة والاستيلاء على مبلغ 80 مليون سنتيم. وفي نفس السنة، وبالضبط في الليلة الثانية من عيد الأضحى شنت الجماعة (شبوطي، لهويج، نطاح، بورعدة) بقيادة بويعلي هجوما على مدرسة الشرطة بالصومعة ولاية البليدة، كانت حصيلته اغتيال حافظ النظام العمومي "بوقزولة بوعلام" (أيوب، ع. 2009) والاستيلاء على كل المعدات المخزنة بمصلحة الأسلحة، وعلى إثر هذه الحادثة تكثفت الملاحقات على أفراد هذه المنظمة، الأمر الذي دفع بويعلي وجماعته للالتحاق بالجبال وتكوين أول فوج وكذا تقسيم البلاد جغرافيا إلى أربعة نواح:

✓ **الناحية الأولى:** تمثل منطقة الجزائر العاصمة، بومرداس، تيبازة، ومن أهم الناشطين بها: بويعلي مصطفى، تواتي محمد، طيبي بولنوار، غريب عبد السلام، ماضي عبد العزيز.

✓ **الناحية الثانية:** تشمل البليدة وضواحيها، أهم عناصرها: عمار محمود، منصوري عبد العزيز، خيرة أحمد، دلاشي عمار، وصغير رابح.

✓ **الناحية الثالثة:** تيزي وزو وضواحيها، عناصرها: منصوري الملياني، ابراهيم، مهدي رابح، بركاني.

✓ **الناحية الرابعة:** تشمل ولاية الشلف وضواحيها، أنشط عناصرها: شبوطي عبد القادر، لهويج عبد العزيز، عمارة عبد القادر، نطاح فاروق، مهدي فيصل، ففي سنة 1986 أضعفت قوات الأمن هذه الجماعة، بعد أن ألقى القبض على معظم ناشطيها مثل (بورعدة، شبوطي، نطاح، دلاشي، ماضي، بن عمار، تواتي، منصوري الملياني و ابراهيم، الذين حوكموا ليتم الإفراج عنهم بعد أحداث الخامس من أكتوبر 1988 (عماني، م. 2004، ص 312)

2. الحركات المسلحة خلال العشرية السوداء (1991-2000):

تعتبر فترة التسعينات أخطر مرحلة مرت بها الجزائر، حيث شهدت أحداثا دموية بلغت حدا لا يوصف من الوحشية، وكانت البداية بعمليات السطو على المؤسسات العمومية والتجار والثكنات لغرض جمع المال والسلاح، ليعيش بعدها حي بوزرينة بالقصبة اغتيال ستة أعوان شرطة في فيفري 1992، وبعدها ببضعة أشهر وبالضبط في 26 أوت 1992 تفجير مطار هواري بومدين، الجريمة التي كشفت الوجه الجديد للأحداث، لتتوالى بعدها المجازر والاغتيالات، حيث اتجهت آلة الموت إلى المدنيين وكافة شرائح الشعب (بوكراع. إ، 2003، ص 306)

لتبدأ سلسلة تصفية المثقفين وبالذات الصحفيين، حيث قاربت الحصيلة 100 إعلامي نذكر منهم سعيد مقبل، طاهر جاووت، يوسف سبتي، رابع زناتي، اسماعيل يفصح...، هذا ما صرح به الأستاذ إبراهيم إبراهيمي، أستاذ بكلية العلوم السياسية والإعلام، وقد شهدت نفس المرحلة تنافسا من أجل إدارة جهاد الحركات بالجبال نجم عنه تكوين العديد من الجماعات المسلحة كل واحدة لها إستراتيجيتها الخاصة وأهدافها المنشودة نذكر منها:

أ. الحركة الإسلامية المسلحة (الميا - MIA):

وقد أسسها العسكري السابق مخلو في السعيد مباشرة بعد إلغاء نتائج الانتخابات، وهذا اقتناعا منه بأنه لا جدوى من السياسة لإقامة دولة إسلامية، والحل في العصيان والتمرد، " إن الظلم قائم ومستديم بسبب طوعية وصمت الأغلبية أساسا (...) فلولاً قبولنا وصمتنا ما كان في مقدور النظام بمعية مائة ألف جندي وشرطي أن يراقب أكثر من عشرين مليون نسمة (...) "، وكان هدف هذه الجماعة تسييس الشعب وتوجيهه إلى العصيان المدني لقلب النظام، حتى ولو كان هذا بالإكراه، "إن الشعب الذي يؤيد إما بدافع الخوف أو الطموح نظاما يقمعه ويهربه يصبح حليفا له من ثم الكفاح واجبا فحسب بل إن الكف عن التعاون مع النظام القائم والجلادين المرتشين يصبح أمرا " (مارتيناز. ل، 1998، ص 317)

ومما سبق يمكننا القول أن الحركة الإسلامية المسلحة كانت تسعى إلى منع الدراسة في الجامعات، والعمل في المؤسسات العمومية ومنه إلى شل الحياة الاجتماعية للإطاحة بالنظام.

ب. الجيش الإسلامي للإنقاذ (الاييس - AIS):

أسسه مداني مزراق إثر حل الجبهة الإسلامية للإنقاذ في 04 مارس 1992 على أساس أنه امتداد مسلح لها، وفي سنة 1993 أجاز " الفيس " FIS هذا التنظيم المسلح ليعقد مؤتمرا سنة 1994 يعين فيه مداني مزراق رئيسا وطنيا للجيش الإسلامي للإنقاذ، إذ بلغ عدد المنتسبين إليه سبعة آلاف عنصر، وهذا ما أثار الخلافات وأنتج الانشقاقات.

ج. الجماعة الإسلامية المسلحة (الجيا - GIA):

تعتبر الجماعة الإسلامية المسلحة انشقاقا عن الجيش الإسلامي للإنقاذ، فتولدت " الجيا " التي أتاحت المجال لشباب كثير بالانضمام إليها، إذ نشأت في أواخر 1992 بزعامة علال محمد / موح ليفي.

استتدت الجماعة في نهجها الإيديولوجي إلى الفتوى الصادرة من طرف عبد الحق العيادة أحد مؤسسيها وزعمائها، ومن ثم تجسد هذه الفتوى على أرض الواقع في سلسلة من الاغتيالات، كما ترتبط الجماعة الإسلامية المسلحة بعلاقة سيئة مع الجيش الإسلامي للإنقاذ، حيث أدانها هذا الأخير في بعض أعمالها الدموية، " إنهم يشيعون كذلك بأن الشعب وثني وأحيانا طاغوت. إنهم لا يكفون عن تعداد خطاياهم البسيطة والأخطاء الصغيرة التي يمكن تصحيحها بالكلمة الطيبة (...) إنه من الدناءة نعت هذا الشعب بالطاغوت، ومع ذلك فإن هذا ما يعده به بعض المجاهدين " (مارتيناز، ل، 1998، ص 313)

أما هيكلتها فتتشكل من بعض الإسلاميين الذين حاربوا في أفغانستان والبوسنة، وبعض الشباب، والمنشقين عن جبهة الإنقاذ، ويقدر عدد أفرادها ما بين 20 و 25 ألف، تحت قيادة مسؤول أول يلقب بالأمير الوطني، نذكر منهم: جمال زيتوني، حسان خطاب، عنتر زوابري...، تتركز الجماعة بجبال الاطلس الشرقي والغربي، وفي الحدود المغربية والتونسية والصحراوية، إن الدعم الذي كانت تحظى به امتد إلى خارج الوطن، حيث اتخذت لنفسها مواقع في بعض المناطق أهمها:

- الولايات المتحدة الأمريكية: تم الاعتماد على أحد قادة الحرب مقيم بالولايات المتحدة الأمريكية المدعو أنور هدام لإثارة الدعايات المفرضة في أمريكا، وأيضاً في

• **أوروبا الغربية:** حيث أقامت الجماعة اتفاقيات اللجوء السياسي مع بلجيكا واستفادت من تعاطفها معها، حيث اكتشف هناك مخبأ أسلحة خاص بالجيأ في مصنع اليأج Liège للأسلحة على الحدود البلجيكية الألمانية، إضافة للجوء أكبر السياسيين الداعمين لها ببريطانيا (صحيبي، مناعي وآخرون، 2006-2007، ص 24 - 25)

د. الجبهة الإسلامية للجهاأ المسلأ - الفيدا - FIDA:

أسسها الطبيب لعمارة عبد الوهاب بالعاصمة رفقة مجموعة من مثقفي الحزب المحل التابعين لتيار " الجزائر " بمساعدة سيد علي بلعجار الذي كانت نيته إنشاء الرابطة الإسلامية للدعوة والجهاأ ليوحد تحت لوائها التنظيمات المسلحة الموجودة في الجزائر، حيث تشكل هذا التنظيم خصيصا لتصفية الشخصيات الثقافية والإعلامية والسياسية، وقد أسندت المهمة العملية (أي التخطيط والتففيذ الميداني للعملية)، إلى طالب جامعي يدعى إبراهيمي محمد، رسمت هذه الجماعة إستراتيجيتها بذكاء حيث وحسب اعترافات الموقوفين منهم، كان التركيز الأول والأهم على الشخصيات التي عرفت بمعارضتها للنظام، حتى تزرع الشك وسط الرأي العام وتضرب مصداقية السلطة في مكافحة الإرهاب⁽¹⁾ (أيوب، ع، 2009)

3. الحركات المسلحة ما بعد العشرية السوداء (2000-2008): من أهم أحداثها:

تفجير مزدوج استهدف قصر الحكومة ومقر الشرطة بباب الزوار في 11 أبريل 2007، الحصيلة أكثر من 30 قتيل، نفذ العملية المكنيان معاذ بن جبل وأبو دجانه، وفي 11 جويلية 2007، انتحاري يكنى صهيب أبو مليح يقتحم ثكنة بالأخضرية ويفجر شاحنة، كانت الحصيلة فيها 20 قتيلا، أما 06 سبتمبر 2007، موكب الرئيس يتعرض لتفجير انتحاري بباتنة بواسطة حزام ناسف، الحصيلة 20 قتيلا. وفي 11 ديسمبر 2007، تفجير مزدوج يضرب مبنى الأمم المتحدة ومقر المجلس الدستوري بالعاصمة، نفذه كل من إبراهيم بشلة وعبد الرحمان أبو عبد الناصر العاصمي، حصيلته أكثر من 40 قتيلا، كذلك في 19 أوت 2008، تفجير ثكنة الدرك الوطني ببسر ولاية بومرداس، نفذهأ المكنى هارون المونشو، حصيلتها أكثر من 43 قتيلا، هذا ما جاء به تصريح السيد سامر رياض، صحفي بجريدة الشروق اليومي، في مقابلة هاتفية معه.

أ. الجماعة السلفية للدعوة والقتال (جي، أس، بي، سي -GSPC):

بعد تضارب الأفكار، الأهداف والمصالح، انسلخت جماعة أخرى من الجيا تدعى الجماعة السلفية للدعوة والقتال سنة 1998، تزعمها حسن خطاب، تركزت في وسط البلاد. وهذا بعد أن تجاوب الكثير من حاملي السلاح مع قانون الرحمة الذي تبناه رئيس الجمهورية ليامين زروال سنة 1997 وكذا فتح مجال الحوار معهم، ما خلق صراعا كبيرا، وعلى ضوء هذه الأحداث ولدت الـ " جي أس بي سي " التي حاولت تدارك الوضع بالتراجع عن استهداف المواطنين والتركيز على تصفية كل من له علاقة بالسلطة، وحتى بعد استسلام زعيمها حسن خطاب بقيت هذه الجماعة تحمل شعار الجهاد لطرد النظام العميل، مركز قيادتها قائم في غابة ميزرانة (ولاية تيزي وزو)، التنظيم مقسم إلى عدة مناطق، وهي تضم أكبر عدد من العناصر الموزعة بين عدة كتائب:

كتيبة	منطقة لجوء
الفتح	لاغيتون (خميس خنشلة)
الأرقم	الجراح (ولاية بومرداس)
أبي بكر	غابة سباع (خميس خنشلة)
الفرقان	جبل الريخ وجبل بوزقزة
الفاروق	بلعزام (الخضرية)
التوحيد	زيان (مفتاح)
النور	ذراع بن خدة
الأنصار	برج منايل
عمر بن الخطاب	بين مسيلة وبرج بوعريريج
الموت	مفتاح
المهاجرين	سور الغزلان

(بوكراع.إ، 2003، ص 309 - 310)

ب. القاعدة في المغرب الإسلامي:

بعد رحيل الرئيس ليامين زروال عن سدة الحكم، وتولي الرئيس عبد العزيز بوتفليقة الحكم بعده، واصل هذا الأخير في دعم سياسة الحوار مع الحركات المسلحة، ودعم ذلك بقانون الوثام المدني والمصالحة الوطنية.

هذا ما أتاح الفرصة للآلاف من المسلحين بالعودة إلى حياتهم العادية والتخلي عن العنف، خاصة بعد الإفراج عن عدد كبير من المسجونين في قضايا الإرهاب، مما أضعف شوكة الجماعة السلفية للدعوة والقتال وجعلها تبحث عن دعم خارجي تمثل في انضمامها لمنظمة القاعدة الدولية.

و منه تغيرت تسميتها إلى القاعدة في المغرب الإسلامي، يقودها أمير وطني المسمى درودكال عبد المالك والمكنى أبو مصعب عبد الودود البالغ من العمر تسعاً وثلاثين سنة، المنحدر من منطقة مفتاح ولاية البليدة، حيث تبنت نهج العمليات الانتحارية فنلمس نفس الإستراتيجية المستعملة في العراق، باكستان وأفغانستان، واستطاعت هذه الجماعة بخططها الجديدة جذب الكثير من المراهقين الذين لم يتجاوزوا سن الخامسة عشر، وكذا استعادة العديد من التائبين والمفرج عنهم، ليتم تعبئتهم بفكرة الجهاد (صالح. ر، يوم 05 - 05 - 2009 ، على الساعة 15:20 سا)

من خلال تطرقنا لهذا العنصر يتضح أن هذه الهيكلة المحكمة والإستراتيجيات المتنوعة والمطبقة من طرف الجماعات المسلحة قد خلفت آثاراً جمة في مختلف المستويات ومست جميع الميادين، وبناء على ما سبق ذكره كان علينا تقصي مخلفات الأعمال الإرهابية التي تم إدراجها في هذه الفقرة.

4. آثار الأعمال الإرهابية:

إذا حاولنا أن نشخص مدى الآثار الخطيرة والانمكاسات الرهيبة للأعمال الإرهابية وما لحق بمؤسسات الدولة وأسس بنائها فإننا نجد أنفسنا أمام واقع مر ونتائج وخيمة تهدف إلى هدف واحد ألا وهو إزالة الدولة الجزائرية ومحوها من على الأرض بمؤسساتها الحيوية وكذا مواردها البشرية.

أ. الجانب الاقتصادي:

يعتبر الميدان الاقتصادي الأكثر تضررا ومساسا من جراء الأعمال الإرهابية، إذ اعتمدت الجماعات الإرهابية تطبيق سياسة تجويع الشعب وهي أولى محاولات تخريب الاقتصاد الوطني، فالإضراب السياسي الذي دعا إليه قادة الحزب المنحل في شهر ماي 1991، والشعارات التي رددوها أثناء الإضراب هو إصابة كل أنشطة الاقتصاد الوطني بالشلل التام فتتوقف عملية التنمية وتتوقف معها عملية تموين المواطنين فيجوع الشعب، وينزل إلى الشوارع متظاهرا مطالباً بالخبز، ومناديا بسقوط النظام الذي عجز عن توفير حاجياته، وهي إستراتيجية تبناها قادة الحزب المحظور فيستغل بذلك الهوة بين الشعب والسلطة لطرح نفسه كبديل وكحلّ أمثل، أمام فشل هذا المسعى وبعد تصاعد موجات العنف التي بدأت بإعلان الحرب على المجتمع، بدأت المرحلة الثانية في تحطيم الاقتصاد الوطني وهي مرحلة يمكن تسميتها سياسة الأرض المحروقة التي تنصب على كل مقومات الاقتصاد الوطني خاصة كل ما له صلة بالتموين اليومي للمواطن، ولا يمكن إحصاء إجراء عملية جرد لما خرب ودُمر من مؤسسات متنوعة النشاط التي لا تقدر بثمن، وقد استطاع مدبرو المخطط الإرهابي من فرض حصار اقتصادي على البلاد وهو حصار نحدده من عدة وجوه:

⇨ أولاً: محاولات عزل الجزائر اقتصاديا على الصعيد الدولي وذلك بمنع أي استثمار أجنبي داخل البلاد خاصة أمام نظام اقتصاد السوق والتوجه الاقتصادي الجديد وكان ذلك بقتل وتهديد المتعاملين الأجانب بفرض إتلاف العلاقات التجارية الخارجية.

⇨ ثانيا: محاولة عزل الجزائر اقتصاديا على المستوى الداخلي ، بتخويف أصحاب رؤوس الأموال الجزائريين ودفعهم إلى تهريب أموالهم إلى الخارج للاستثمار هناك نظرا لسياسة التهديم التي سنتها الجماعات الإرهابية.

⇨ ثالثا : الخسائر الهائلة التي مست المؤسسات الاقتصادية الوطنية من جراء عمليات التخريب المنظم والتي لا تقدر بثمن (صحيبي ، مناعي وآخرون، 2006-2007، ص 26)

وقد أدى الضغط الإرهابي على وسائل عيش المواطنين وعائلاتهم بفقدان 70.000 منصب شغل وترك 350.000 شخص بدون دخل، إذ في إطار المحادثات حول الوضع الاقتصادي والمالي للجزائريين صرح وزير المالية الجزائري وقتها، انه في عام 1999 سُجلت الإحصائيات التالية 4.2 مليون بطلال، بالمقابل لم يسجل الدخل القومي تطورا حيث انخفض من 3500 دولار للفرد الواحد عام 1990 الى 1629 دولار عام 1997 وفي الفترة الممتدة ما بين 1991 الى 1996 تم حرق كلي أو جزئي لـ 630 مصنع عمومي أو خاص و550 آلة للإشغال العمومية (صحيبي، مناعي وآخرون، 2006-2007، ص 27)

ب. الجانب الاجتماعي:

هذا الجانب أيضا كان عرضة لكثير من الهزات والانعكاسات الخطيرة التي خلفت العديد من الضحايا من جراء المجازر التي تعرض لها الشعب الجزائري، وكذا المآسي الاجتماعية التي ترتبت عن هذه الأعمال الإرهابية من يُتم وتشريد وتفكير لمئات الآلاف من العائلات الجزائرية، فأولى النتائج السلبية على الصعيد الاجتماعي مدرجة في التصريحات التي أدلى بها رئيس "جمعية جزائرننا" المكونة من عائلات ضحايا الإرهاب وممثل "اللجنة الوطنية المناهضة لنسيان الخيانة" وبعض من فقدوا أفراد أسرهم في هذه الظروف من خلال استجواب صحفي تحت عنوان "هل يمكن أن يعمدوا لنا ضحايانا والذي نشر في جريدة الخبر الأسبوعي العدد 11 من 19 الى 25 ماي 1999 خير دليل على الإرث الاجتماعي الجديد الذي توارثه الشعب الذي يسوده الحقد والكراهية حيث تقول إحدى السيدات أنها فقدت زوجها وأخاها في المجزرة التي وقعت في "بن طلحة" هل هذه المصالحة تعيد لي زوجي المذبوح وأخي اللذين قتلوا لذنب لم يقترفاه وهل من الممكن أن تتسنى الفتيات اللواتي تعرضن لأبشع التعذيب من انتهاك أعراضهن ومسهن في شرفهن، وتركهن حوامل.

ج. الجانب الثقافي والتربوي:

إذا تحدثنا عن الثقافة وما لحقها جراء العمل الإرهابي فإننا سنتكلم عنها بمعناها العام والشامل أي بمفهوم العلم والعصرنة وكذلك التطور وإذا أمعنا النظر في هذه الجماعات نجد أن المستوى الثقافي والعلمي لم يكن يعني شيئا لهم، كون أغلب قادتهم وأمرائهم لا يملكون أي شهادات وإنما يبايع الأمير على أساس درجة وحشيته ودمويته مبدأهم، وخلافا إلى تصوراتهم وأفكارهم يعتبر كفرا يجب إزالته لأنه من

إنتاج طغاة غير مسلمين لذلك أول ما خططوا له هو إبادة النخبة والصفوة في المجتمع من أساتذة وأطباء ومفكرين وصحافيين لأنهم هم حملة الثقافة الوطنية وممثلي الفكر المعرفي الجزائري، لم يكفيهم ذلك بل وصلت وحشيتهم إلى التخريب وحرق المؤسسات الثقافية والعلمية والتربوية والفنية ، إضافة إلى إصدار أوامر تتعلق بمنع التلاميذ والطلبة من الذهاب إلى المدارس خاصة في المناطق النائية وقد انتهجوا سياسية الأعمال التخريبية للمؤسسات التربوية اعتقاداً منهم أن المثقفين والعلماء والمفكرين هم الذين يقفون في وجه مشروعهم وذلك بتتوير المجتمع وبيّنون أخطائهم ، لذا وجب القضاء على هذه الفئة التي تعارضهم ، كما كانوا يستعملون شعار " انتخبوا معنا تدخلوا الجنة" إلا أن هذا القول لا يقنع أصحاب العقول النيرة لذي وجب عزلهم عن المجتمع إما بالتقتيل أو التهجير والتخريب (صحيبي ، مناعي وآخرون، 2006- 2007، ص 28- 30)

5. حصيلة العنف المسلح:

لقد كانت الحصيلة ثقيلة جدا وخطيرة، أعيت كاهل هذا الوطن الذي ما يكاد يمضي خطوة إلى الأمام، حتى تلتف حوله حثالة المتآمرين فتسلب شعبه حق العيش في سلام ونعيم خص به بلادنا، فما عادت أخبار الموت تجزعنا، بعد أن حمل أطفال أشلاء أطفالنا، وأصبح من أهل البيت بعد أن كان ضيفا تهتز له قلوبنا وتمطر له أجفاننا، وليس مبالغة قولنا هذا تمعنا في نتائج الإرهاب الأعمى.

أ. الاعتداءات والمجازر:

كان على الإرهابيين أن يؤدوا مهمات شتى لإبقاء الضغط على السكان المرتهبين، وإجبار قوى الأمن على التشتت والتحرك في اتجاهات مختلفة، فلجأوا إلى استعمال قتابل صنعوها بأنفسهم، لتوضع في الأماكن العامة كالأسواق والحافلات والقطارات... ساعات الازدحام (تفجير مطار هواري بومدين يوم 26 أوت 1992، خلف 11 قتيل و128 جريح هذا ما صرح به السيد عبد المالك أيوب رئيس مصلحة قمع الإجرام سابقاً).

وكانت تقام "حواجز زائفة" من قبل مجموعات مسلحة بأسلحة نارية وسكاكين وسيوف، على طرقات الأرياف وحول بعض المدن، وأحيانا كانوا يتخفون في زي قوات الأمن ويطبقون الحواجز ليوقفوا المركبات، وبعد التحقق من الهويات، كانوا يقتلون بنحو تعسفي أو هادف بعض المسافرين أو معظمهم، كان يجري قتلهم بطرق شتى،

ذبحا بالسلاح الأبيض وقطع الرؤوس أحيانا، وكانت هناك جثث محشوة بالمتفجرات بغرض استهداف كل متدخل، أما النساء فهن على الأغلب للسبي والخطف ثم الاختفاء دون أثر إلا من سخر الله لها منقذا من قوات الأمن أو غفلة منهم (بوكراع. إ، 2003، ص 322)

بـ. الاغتيالات الجماعية والفردية:

لقد شملت الاغتيالات شرائح عديدة حددت حسب أهدافهم وتصوراتهم.

• اغتيال أعضاء مصالح الأمن:

(الشرطة، الدرك، والعسكر...)، كانت أول مظاهر الاغتيالات، أولا بقصد الاستيلاء على أسلحتهم، ثم لترهيبهم وتخويفهم من مواجهتهم، إذ حتى أولياؤهم وأقاربهم كانوا هدفا.

• اغتيال موظفي الدولة والمثقفين:

تطورت ظاهرة الاغتيالات ولم تتوقف عند قوات الأمن، حيث إنه وإلى جانب السلاح والمال لابد من مواجهة الخصم الأول الذي يتمثل في الحكومة وبالضبط في موظفيها وكل من ينطق بلسانها، فلم يسلم القضاة ولا نواب المجالس الوطنية، وزراء سابقون، أساتذة جامعيون... (اغتيال النائب العام للمجلس القضائي بتلمسان محمد السعيد في ماي 1993، الجيلالي اليابس وزير سابق وأستاذ جامعي في مارس 1993..).

• اغتيال رجال الدين:

بما أن الجماعات المسلحة استعملت الإسلام رداء لأعمالها، فإن الكثير من الأئمة والدعاة ندّدوا بهذا وأثبتوا براءة ديننا من هذه الوحشية والدمار، فأصبحوا هدفا منشودا لهذه الجماعات وأهدر دم 13 إماما بين سنة 1992 و1999، ومنهم من اغتيل في المسجد (لطاعي. ف، 2006 – 2007، ص 20)

• اغتيال الأجانب:

على أساس أنهم كفار وعملاء لليهود، من جهة ومن جهة أخرى بحثا عن الصدى الدولي لجرائمها، هددت الجماعات المسلحة الأجانب المقيمين في الجزائر بالرحيل في مدة لا تتجاوز الشهر، وقامت باغتيال حوالي 70 أجنبي من بينهم 20 فرنسي (لطاعي. ف، 2006 – 2007، ص 20)

• اغتيال الإعلاميين:

أما بالنسبة للأسرة الإعلامية فلم تتج هي الأخرى من أيادي الإجرام، حيث تمهد أمير الجيا في بيانات جماعته أن يحارب بالسيف كل من يحارب بالقلم، كما تبنت الجيا أيضا ممثلة في شخص جمال زيتوني أكثر من 59 عملية اغتيال لإعلاميين في الفترة ما بين 1993 و1996، وفي نشرية " النفير " في عددها المؤرخ 5 جوان 1992 أعلنت الميا أنها لن تتوقف عند حد التصفية الجسدية لقوات الأمن، بل ستستهدف الصحفيين المتواطئين مع السلطة في حريها السيكلوجية ضد الشعب الجزائري، وفي واحد من أعداد جانفي 1993 نشرت نفس الصحيفة فتوى تعطي مهلة 40 يوما للصحفيين حتى يتوقفوا عن التشهير بالحل الإسلامي (اغتيال مصطفى عبادة في 14 أكتوبر 1993، علي عبود في 7 جانفي 1995...) (تامي. ن، 2003 - 2004، ص 149 - 154)

ج. الخسائر المادية والبشرية:

إغلاق أكثر من 700 مدرسة و915 مدرسة أغلقت بعد تخريبها، عدد الأطفال ضحايا صدمات العنف الإرهابي 1000.000 طفل عبر 18 ولاية (تعرضوا لأعمال إرهابية أو عايشوها)، عدد أطفال ضحايا الإرهاب يقدر بحوالي (250.000 يتيم) .
بلغت سنة 1997 عدد الاغتيالات 299 (اغتيالا جماعيا) أفضت إلى قتل 4143 مواطنا (معظمها ليلا) مست:

- 43 مرفقا عاما .
- 14 شارعا مكتظا بالسكان .
- 05 مقابر ، 07 مساجد ، 12 منزلا .

الاعتداءات الفردية 78 ذهب ضحيتها 88 متوفى (لمطاعي. ف، 2006 - 2007،

ص 80)

• النساء المقتنيات :

197	سنة - 1993
582	متوسط العمر 17 الى 28 سنة - 1994
550	- 1995
144	- 1996
180	- 1997

• الاختطاف :

مختلف الشرائح	1994 - 373 حالة اختطاف، 1995 - 576 حالة
	1996 - 988 حالة اختطاف، 1997 - 706 حالة

حيث قدر عدد القتلى حسب إحصائيات سنة 1997 بأزيد من 10000 قتيل (صحيبي ، مناعي وآخرون، 2006 - 2007، ص 31 - 33)

• الخسائر المادية: وحسب وثيقة نشرت بمناسبة انعقاد ملتقى دولي بالجزائر حول الإرهاب والأصولية والحريات النقابية قدرت المركزية النقابية مبلغ الخسائر الناجمة عن الأعمال الإرهابية بما يزيد عن مليارين (02) من الدولارات الأمريكية.

و شملت عمليات التخريب حسب المصادر الرسمية ما يلي:

- 288 إدارة محلية، بلديات ودوائر.
- 2051 مسكنا فرديا مهدما.
- 1040 مؤسسة اقتصادية محطمة.

- 612 مؤسسة تربية لمختلف الأطوار.
- 152 مؤسسة صحية بتجهيزاتها (صحيي ، مناعي وآخرون، 2006 - 2007، ص 31 - 33).

6. الإجراءات المتخذة من طرف الدولة لوقف آلة الإرهاب:

في خضم كل هذه الأحداث أصبحت الدولة الجزائرية أمام تحد كبير لمواجهة هذه الظاهرة ما فتئت اليوم تهدد العالم بأسره، وفي هذا الإطار جهزت مخططا للمواجهة شمل استحداث وسائل تقنية، إجراءات ميدانية، وكذا إجراءات سياسية صاحبت إعلان حالة الطوارئ بموجب مرسوم رئاسي يوم 2 فيفري 1992 بمقتضى المادة 86 من دستور 1989.

أ. الوسائل التقنية لمواجهة الإرهاب:

قامت المديرية العامة للأمن الوطني بإنشاء الديوان الوطني لقمع الإجرام (O.N.R.B) ثم تغيير اسم هذه المصلحة لتصبح المصلحة المركزية لقمع الإجرام (S.C.R.B)، بعد مرور أشهر تم تدعيم هذه الوحدة الرئيسية التي كان مجال تدخلها يمتد إلى كامل التراب الوطني، بإنشاء وحدتين فرعيتين وذلك بقسنطينة وهران وهما وحدتان جويتان ذات الخصائص واحد (SRRB) وبعد هذه المراحل جاء دور الفرق المتنقلة للشرطة القضائية (B.M.P.G) والمختصة في محاربة الأعمال الإرهابية والتي شملت جميع المناطق على مستوى الوطن، إذ تم استحداث 55.000 منصب للحرس البلدي، 80.000 عنصر (الدفاع الذاتي)، ومكن التنسيق الذي كان يربط مصالح الأمن المختلفة من التواصل إلى طريقة جديدة لمكافحة الإرهاب. ويضاف إلى هذا التكوين المستمر لرجال الأمن الذين تولوا هذه المهمة. حيث اتخذت المديرية العامة للأمن الوطني من أولوياتها إصلاح منظومة التكوين التي تتماشى مع الوضعية المعاشة.

وتم في هذا الإطار إعداد برامج الرسكلة والتكوين والتي أتاحت الفرصة لرجل الأمن الاستعانة بتطبيق كل التقنيات والمناهج المهيأة لمكافحة الإرهاب كذلك على المستوى المادي عملت الدولة على تدعيم الوحدات الأمنية بوسائل وعتاد يصلح بالتصدي ومواجهة الجماعات الإرهابية المسلحة حيث ما وجدت (صحيي ، مناعي وآخرون، 2006 - 2007، ص 37)

ب. الإجراءات الميدانية:

كان من الصعب جدا اتخاذ إجراءات ميدانية تحد من وحشية آلة الموت تماما نظرا لقلة الإمكانيات، فبالنسبة للإعلاميين فقد تم إسكان معظمهم بمساكن أمنية تابعة لل فنادق العمومية (المنار، موريتي، مازهران..) وتوفير النقل من طرف مؤسساتهم (أيوب، ع، 2009)

ج. الإجراءات السياسية:

تمثلت أساسا في فتح باب الحوار أولا مع قيادي الجبهة الإسلامية للإنقاذ، حيث باءت هذه المبادرة بالفشل بعد أن تبرأ الجناح المسلح من الجناح السياسي، ليتجه لسان الحوار مباشرة مع قادة الحركات المسلحة، صحبه إصدار قوانين وقرارات تدعم مبدأ السلم والرفق بمن غرر بهم، بدءا بتدابير الرحمة وصولا إلى قانون الوثام المدني والمصالحة الوطنية والعفو الرئاسي الذي أصدره الرئيس بوتفليقة مطلع سنة 2000 والإفراج عن 2300 سجين في قضايا الإرهاب، وأثبتت هذه الإجراءات نجاعة بعد أن استجاب لها حوالي أربعة آلاف عنصر من المسلحين بالإضافة إلى الأمير الوطني للابيس مداني مزراق (قبلي. ن، مصطفىوي. ك، 2004 - 2007، ص 9)

فمن خلال تعرفنا على البنية الخلفية لتكوين الجماعات المسلحة في الجزائر، وأيضا من خلال المقابلات المجرأة مع عدة شخصيات ثقافية، والعديد من الوجوه الإعلامية، تم التأكد من أن ظاهرة الإرهاب لا تنتشر صدفة وليست نتيجة حتمية لأوضاع محددة، بل هي تخطيط وتصميم يصبو إلى تحطيم الأمم، ومحو كل مظاهر العلاقات الإنسانية النبيلة، لينشر مذهب الكره والحقد ويُشعل فتيل العداء والخصومة.

والحديث عن هذا الوحش الكاسر ألزمننا الكشف عن ماهيته، وأساليبه، لنستنتج أن موت الضمير يسلب الإنسان من إنسانيته ويسافر به عبر الماضي البعيد ليعيده إلى بدائيته، ويفرض عليه قانون الغاب، فيلغي عنه عقله الذي وضع فيه الله سر قدرة الإنسان في مواجهة باقي المخلوقات التي من المستحيل أن يكون العقل عدوا للعقل.

نحن لم نكره يوما أن تشتد شرعنا متنا الإسلامية، بل يبقى هذا حلم كل من أحس حلاوة السجود لله، وشدى بأشهاد من لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإنما نرفض أن ينسب دين الله إلى مصطلح التكنوقراطية، لأنه ليس مجرد أفكار بل هو فلسفة حياة تقودنا إلى الجنة، نسلم فنسلم وننشر السلام في كل العالم، ونرفض أن

يدنس الإسلام الذي يوصينا بالرفق في نحرنا لأضحية العيد، فكيف باسمه يذبح عبد لله وإن قصر في عبادته؟...

بعد التطرق للإحصائيات المدرجة أعلاه، وبعد أن ثبت استهداف أيادي الجرم لكل من يساهم في بناء هذا الوطن وحدد خصمهم في كل من خالفهم، فكانت الخسارة كبيرة تدمي الأفئدة وتوهن القلوب.

فإن نحن اليوم نعيش ونتعلم بكرامة فلأن هناك أناس ماتوا وتألما لأجل هذا، فلنحافظ على وجودنا بالعلم والفكر، ولنثبت للعالم أننا أمة اختارها الله لتسود الأمم بالسلم وللسلام، وإن اختلفنا فالاختلاف سبيل الإبداع وضمان الاستمرارية.

رحم الله شهداء الجزائر وخطوات ثابتة للأمام يا جزائر

قائمة المراجع:

1. باللغة العربية:

أ. الكتب:

- (1) بوكراع إلياس (2003): " لجزائر الرعب المقدس "، ترجمة خليل أحمد خليل، تقديم إيرفيه بوج، دار الضرابي، لبنان.
- (2) عمّاني محمد (2004): " في عمق الجحيم، معول الإرهاب لهدم الجزائر "، ترجمة م.صطوف المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر.
- (3) مارتيناز لويس (1998): " الحرب الأهلية في الجزائر "، ترجمة محمد يحياتن، منشورات KARTHALA، باريس.

ب. مذكرات وأطروحات:

- (4) صحبي محمد توفيق، مناعي يزيدي، مولاي عبد الحفيظ (2006 - 2007): " تحقيق حول الحركات الهدامة، نموذج الجزائر "، مذكرة نهاية ترمص ضباط الشرطة، تحت إشراف عميد الشرطة: جبار ياسين، الجزائر.

- (5) تامي نصيرة (2003 – 2004) : " ظاهرة الإرهاب من خلال التلفزيون الجزائري " ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الجزائر.
- (6) قبلي نصيرة ، كريمة مصطفىوي (2004 – 2007) : " ظاهرة الإرهاب في الجزائر " ، مذكرة نهاية تربص ضباط الشرطة إناث ، تحت إشراف عميد الشرطة: بن يزيد نصر الدين ، الجزائر.
- (7) لطاعي فيروز (2006 – 2007) : " المعالجة الإعلامية للمصالحة الوطنية في صحيفتين يوميتين الخبر والشروق . دراسة وصفية تحليلية للفترة الممتدة من 1 نوفمبر 2004 – 1 نوفمبر 2005 . " ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، تحت إشراف الأستاذة: عزة عجان ، جامعة الجزائر.
- (8) عبد المالك أيوب (2009) ، رئيس المصلحة المركزية لقمع الإرهاب سابقا ، مسودة مذكرات لم تُشرب بعد.

ج . الحصص التلفزيونية:

- (9) صالح ريمة ، مقدمة حصة " صناعة الموت " ، قناة العربية ، يوم 05 – 05 – 2009 ، على الساعة 15:20 سا.
- (10) معمري شريف ، مقدم حصة " نرفض أن تموت الجزائر. إسماعيل يفصح . " ، أرشيف التلفزيون الجزائري ، ليوم 19 أكتوبر 1993.

(11) Sevrine Labat et Malik Ait Aoudia, L'émission De « Algérie 1988– 2000 Autopsie d'une tragédie », présentée par. Compagnie de Phares de Balises, 2003.

د . المقابلات:

- (12) مقابلة مع السيد عبد المالك أيوب ، رئيس المصلحة المركزية لقمع الاجرام سابقا ، بمكتب حيدرة ، يوم 14 – 03 – 2009 ، على الساعة 11:00 سا.
- (13) مقابلة هاتفية مع السيد سامر رياض ، صحفي بجريدة الشروق اليومي ، يوم 02 – 02 – 2009 ، على الساعة 10:10 سا.
- (14) مقابلة مع السيد إبراهيم إبراهيمي ، أستاذ بكلية العلوم السياسية والإعلام ، بقاعة أساتذة معهد علم المكتبات ، بوزريعة ، يوم 15 – 04 – 2009 ، على الساعة 11:30 سا.
- (15) مقابلة مع الأنسة فوزية جبايلي ، شقيقة الصحفية سميدة جبايلي منخرطة في المكتب المكلف بضحايا الإرهاب لبلدية وادي قريش ، بمقر سكنها العائلي ، يوم 28 – 01 – 2009 ، على الساعة 16:45 سا.

- (16) مقابلة مع السيد منصور زناتي، ابن عم الصحفي المقتال رابح زناتي، بالتلفزيون الجزائري، بمقر التلفزيون الجزائري، يوم 03 - 03 - 2009 ، على الساعة 14:15 سا.
- (17) مقابلة مع السيد سعيد مقدم، صحفي بجريدة الخبر اليومي، بمقر التلفزيون الجزائري، يوم 07 - 04 - 2009 الساعة 10:00 سا.
- (18) مقابلة مع السيد مصطفى هني، صحفي بالتلفزيون الجزائري، بمقر التلفزيون الجزائري، يوم 07 - 04 - 2009 الساعة 11:15 سا.
- (19) مقابلة مع السيدة عقيلة ايت سي علي، رئيسة تحرير بالتلفزيون الجزائري، بمقر التلفزيون الجزائري، يوم 07 - 04 - 2009 الساعة 09:30 سا.
- (20) مقابلة مع السيد حميد عبد القادر، رئيس القسم الاجتماعي بجريدة الخبر اليومي، بمقر الجريدة، يوم 11 - 03 - 2009 الساعة 14:30 سا.
- (21) مقابلة مع السيدة عبادة، أرملة مصطفى عبادة مدير التلفزيون الجزائري سابقا، بمقر التلفزيون الجزائري ، يوم 14 - 04 - 2009 الساعة 09:30 سا.
- (22) مقابلة مع السيد إبراهيم إبراهيمي، أستاذ بكلية العلوم السياسية والإعلام، بقاعة أساتذة معهد علم المكتبات، بوزريعة، يوم 15 - 04 - 2009 ، على الساعة 11:30 سا.
- (23) مقابلة مع السيد منصور زناتي، ابن عم الصحفي المقتال رابح زناتي، بالتلفزيون الجزائري، يوم 03 - 03 - 2009 ، على الساعة 14:15 سا.

2. باللغة الفرنسية:

(24) BOUKRAA LIES (2006) : " LE TERRORISM ", Ed. CHIHAB.

(25) Brahim Brahimi (1994) : " Le pouvoir la presse et les droits de l'homme en algérie ", Ed. Marinoor, led, ANEP, Algérie.